

الرؤيا الفلسفية في رواية يوم رائع للموت لسمير قسيمي

The philosophical vision in Samir Kassimi's A Fine Day to Die

نور الهدى بهتان¹، سفيان زدادقة²Nouralhuda bahtane¹, Sufyan zedadeka²

1 جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2 (الجزائر)،

مخبر السرديات والأنساق الثقافية، n.bahtane@univ-setif2.dz2 جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2 (الجزائر)، مخبر السرديات والأنساق الثقافية، sofizeda@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2025/11/30

تاريخ القبول: 2025/10/11

تاريخ الاستلام: 2025/06/23

الملخص: تعد الرواية الجديدة من أكثر أشكال التعبير رواجاً في مجتمع اليوم، منطلقاً في تعابيرها من مرجعيات مختلفة وروى متباينة لعل من أبرزها الرؤيا الفلسفية التي تحدد نظرة الإنسان الشمولية للحياة، وتعد صورة حياتية على الورق تصنف الإنسان الجديد وتعبر عن تطلعاته وتبرز مواقفه وطريقته في التعاطي مع واقع مأزوم وذوات بائسة، فحقيقة الرواية في عالمنا الراهن تتحدد وفق قدرتها على رصد علاقة الإنسان بالوجود وتفاعله مع هذا الوجود بغية البحث عن معنى الحياة الذي لا يفهم وهو معزول عن معنى الموت، فكتابة الموت في الرواية سيظل موضوعاً شائكاً رغم كثرة الكتابة فيه، خاصة إن كان هذا الموت بفعل الانتحار أي مطلوباً من الذات نفسها ومرغوباً من طرفها، وهذا ما سندرسه في الصفحات القادمة من خلال رواية يوم رائع للموت لسمير قسيمي.

كلمات مفتاحية: الرؤيا الفلسفية، الرواية الجديدة، الانتحار، الموت.

Abstract

The modern novel has emerged as one of the most prevalent forms of expression in today's society, drawing on a range of references and diverse perspectives. Among the most prominent is the philosophical vision, which shapes a comprehensive human outlook on life. The novel serves as a mirror of life on paper — portraying the modern individual, articulating their aspirations, and highlighting their attitudes and ways of engaging with a troubled reality and distressed selves.

In our contemporary world, the essence of the novel is defined by its ability to capture the human being's relationship with existence and their interaction with it in the quest for the meaning of life — a meaning that cannot be grasped in isolation from the meaning of death. Writing about death in the novel remains a complex and sensitive topic, despite the abundance of literature on it — especially when that death takes the form of suicide, that is, a death sought and desired by the self. This is the subject we will examine in the following pages through A Perfect Day to Die by Samir Kassimi.

Keywords: philosophical vision, the new novel, suicide, death.

المؤلف المرسل: نور الهدى بهتان، الإيميل: n.bahtane@univ-setif2.dz

1. مقدمة:

تعد كتابة الموت من أهم الإشكالات الفلسفية التي احتضنها الجنس الروائي وناقشها بصورها المختلفة سواء ارتبط الموت بحالة طبيعية أو بالقتل أو بالانتحار، وما يعيننا في هذه الدراسة هو أننا سنحاول تعقب الرؤية الفلسفية للانتحار ومعرفة أبعاد هذه الرؤيا وصور تجلياتها في النص الذي نحن بصدد دراسته، وإن الانتحار مهما تعددت أسبابه الاجتماعية يظل فعلا فرديا وقرارا سريا وخصوصا تندر مشاركته مع الآخر ويتم التعامل معه بحساسية مفرطة نظرا لما يخلفه من أسئلة تحيط بالمنتحر وبالأسباب الفعلية التي قادت ذلك الفعل، إذ شكل الموت عن طريق فعل الانتحار معضلة فلسفية تناولها كبار الفلاسفة وقاموا بتحليلها وخاضوا في معناها النفسي والفكري منطلقين في ذلك من اتجاهات متباينة تخدم توجهاتهم المختلفة، هذا وقد تم التعبير عن الانتحار في سرديات مهمة على طول التاريخ الفعلي للنصوص المكتوبة باللغات المختلفة حيث نجده حاضرا وبقوة في نصوص سابقة أو راهنة وهذا ما يهمننا في هذه الدراسة؛ حيث سنمعن النظر في نص روائي جزائري جديد دارسين من خلاله تيمة الانتحار برؤية فلسفية، وهو نص يوم رائع للموت للكاتب سمير قسيبي والذي يعد من أبرز الروايات الجزائرية الجديدة والتي سعت مع مطلع الألفية الثالثة لمحاورة الحياة بشكل يختلف عن نصوص فترة الاستقلال وما تلاها حيث شكلت الرواية الجزائرية الجديدة رؤيتها الخاصة والتي بلورتها أحداث الدم التي أكلت المجتمع الجزائري طوال عشر سنوات مضت لتعطينا نصوصا أخرى تشكل الفرد من منطلق رؤيته الخاصة وصورته التي يرضاها وباعتبار أن الانتحار ما هو في النهاية إلا نتيجة مجتمعية يقرها فرد واحد فقد تحدثت الرواية موضوع الدراسة عن هذا الفعل من منطلق فلسفي ودفعت بقارئ النص لطرح أسئلة جديدة لتعطيها إجابتها المنطقية في آخر صفحاتها.

ظلت الرواية تبحث دائما عن طرق التعبير الجديدة والسعي المستمر نحو تبني رؤيا العالم المختلفة والتي تعد الرؤيا الفلسفية من أبرز محاورها، فالعلاقة بين الفلسفة والأدب هي علاقة حتمية "إذ لا يمكن للفلسفة أن تبقى مجرد تنظير على الورق بل يجب أن تمارس وجودها في الحياة" (شفيق شيا، دت) وتتفاعل مع الواقع، كما لا يليق بالأدب أن يكتفي بظواهره الجمالي وينعزل عن أسئلة الحياة ومن هنا كان الترابط بينهما ترابطا حتميا وهذا الترابط يكون من خلال احتواء كل منهما للآخر، فالفلسفة تقوم بالتجسد في الأدب والأدب يعالج القضايا الفلسفية في نصوصه من خلال تحديثها وتفعيلها برؤية جمالية بعيدة عن الإسهاب والتنظير حيث يستعير من الفلسفة أسئلتها المريبة ونظيرتها الفريدة للوجود ويمزج كل هذا بصورة الجمالية لكي يشكل نصوصا فريدة تستحق التمجيد والخلود من خلال ملامسته للواقع بطريقة خيالية.

إن أكثر إشكال تطرحه الحياة هو الموت الذي يعد وجهها الآخر ونقيضها الذي لا تكتمل من دونه، ذلك أن التعبير عن الحياة لا يمكن أن يتم دون إشارة للموت وطرح فلسفته التي لا تشبه فلسفة الحياة فالموت رغم تكراره لم يألّفه أحد، ورغم كثرته لم يفقد هيئته بل بقي موحشا ومرعبا وغير مرحب به إلا في حالات نادرة لها فلسفتها الخاصة في التعاطي مع هذا المفهوم، ومن هنا ننطلق لقراءة فلسفة الموت عبر الانتحار من خلال النص الروائي الذي بين أيدينا.

2. الموت كصورة للوجود: (تأملات في الرؤية الفلسفية للموت)

لقد شكل الموت في بعده الفلسفي الحقيقة التي يتأسس منها فعل الوجود، حيث لا ينظر إليه كمجرد نهاية حتمية بل يتعامل معه بصفته تجربة خاصة تلغي تركز الذات وتكشف زيف الوجود وعيئته

لقد كانت النظرة الرواقية للموت تدل على أنه حالة طبيعية شأنها في ذلك شأن الولادة، وبالتالي لا مدعاة للخوف مما هو أمر طبيعي حيث أكد الفيلسوف سينيكا أنه "عاش عيشة رديئة من لم يعرف الموت على وجهه" (كريتشلي، 2021، صفحة 9) في إشارة واضحة إلى أن الحياة السليمة لن تكون إلا بمعرفة الموت كباب نهائي وجب على الجميع أن يمروا به، هذا وفي مقولة شهيرة لسقراط نجده يقول "يصير الفلاسفة الحقيقيون من موتهم حرفتهم" (كريتشلي، 2021، صفحة 16) فالموت حسب سقراط هو الأصل عند الفيلسوف الحقيقي وهو الحرفة أي العمل الذي ينبغي على الفيلسوف أن يعتني به وينشغل بكافة تفاصيله، هذا ويؤكد باروخ سبينوزا في كتابه علم الأخلاق "لا يفكر الحر إلا بالموت وحكمته يستمدّها من تأمله في الموت لا من تأمله في الحياة" (كريتشلي، 2021، صفحة 162) فالحياة ماهي إلا مقدمة للموت، والموت هو الحقيقة التي يؤدي تأملها إلى تحقيق الحرية واكتساب الحكمة إذ تعد الحياة مجرد لذة أنية في حين يظل الموت هادما لتلك اللذة ولا يمكن لأي كان حسب سبينوزا أن يفكر في الموت بل هناك درجة خاصة من الحرية هي من تقود للتفكير بالموت فلا يمكن للعامة والعبيد التفكير بالموت بل يختص بذلك طبقة من نبلاء الفكر وأقوياء النفس، وهو ذات ما أكدّه مونتيني بقوله "معرفتك بموتك نسيانك لما يستعبدك" (كريتشلي، 2021، صفحة 16) فالإنسان حين يعي حقيقة موته يتجرد من كل ما يستعبده ويتحرر من قيود الحياة وتصير نفسه حرة.

3. الانتحار كفعل فلسفي وموقف وجودي

شكلت تيمة الانتحار في هذا المتن الروائي نوعا من السرد الوجودي الذي يطرح مسيرة الذات في مواجهة العدم فمن خلال حكاية حليم بن الصادق يتحول الانتحار من فعل واقعي إلى ظاهرة فلسفية تتفاعل مع الوجود

وطرح أسئلة عميقة عن المعنى من الحياة وأحقية العيش، فالانتحار هنا لا يغدو هرباً بقدر ما يعبر عن موقف احتجاجي وذات تعبر عن حريتها القصوى.

تحدث رواية يوم رائع للموت عن بطلها - حليم بن الصادق - الذي تبدأ الرواية بسرد حياته من لحظة انتحاره برمي نفسه من أعلى العمارة ثم يتابع السرد لتفاصيل ماضيه وأسباب انتحاره حيث يبدأ بمناقشة فكرة القضاء والقدر متسائلاً عن حق الإنسان في مخالفة قدره وتحاييله من أجل معرفة موعد موته بل وتحديد هذا الموعد بعد أن وجد كل أحداث حياته السابقة قد حدثت دون تدخل أو خيار منه.

ربطت رواية يوم رائع للموت لكتبتها سمير قسيمي فكرة الانتحار بمبدأ الجبر والاختيار وتعلل الشخصية الرئيسية نزوعها نحو هذا الفعل برغبتها الشديدة في تحقيق الذات عن طريق اختيار موعدها مع الموت ذلك المجهول الذي لا يعرف المرء متى سيواجهه ويسلب منه حق الوجود وحق الحياة، فماذا "عن أولئك الذين لا يمكنهم تحمل الحياة ويرغبون في الموت كخلاص من الألم والمعاناة إن الموت على نحو ما رأينا بالنسبة لهؤلاء ليس مهرباً والانتحار ليس حلاً فحيث إن طبيعتنا الحقة ليست قابلة للإفناء فإن الإنسان يمكنه أن ينهي حياته ولكن لا ينهي إرادة الحياة" (شورون، دت، صفحة 207) من هذه الفكرة تنطلق العملية السردية بذكر أحداث تدعمها مجموعة من الأفكار حول حياة هذا المقبل على العملية الانتحارية والتي يلجأ إليها بعدما مرّ به من فقدان للشغف وللقيمة وللمعنى في الحياة حيث تتناسب أسئلته الوجودية وتتمحور حول الحرية في اختيار موعد الموت وطريقته انتقاماً من عالم ظالم لم يمنح له الحرية في حياته بمختلف تفاصيلها، لم نعرف عن حليم بن صادق ما يخفيه ولم نكتشف شيئاً يتجاوز ما أبلغنا به لكننا نعمل انشغاله بفكرة القضاء والقدر، فكل ما يملكه وما يغيب عنه كان بفعل القضاء والقدر فهو لم يختار أبويه ولا إخوته ولا اسمه ولا حتى ما حدث له لاحقاً" (قسيمي، 2009) فهاهو الآن ينفي حريته وينسب وجوده بكل ما فيه للقضاء والقدر، ونعرف أن الإنسان مجرد من سلطة الاختيار حين يتعلق الأمر بالانتماء العائلي، لكن حليم بن صادق يتجاوز هذا المحور إلى محاور أبعد فكل ما حدث معه لاحقاً - أي بعد مولده - وفي حياته كلها لم تكن له يد فيه لا هو اختاره ولا اختار تفاصيله وإنما جاءه عنوة فرضي به وعاش على أهوائه ولم يسع لتغييره، وبهذا الشكل كانت ستستمر حياته سواء تفاعل مع استمرارها أو تجاهل أحداثها هكذا حتى يصل إليه موته يجرده من روحه ويقوده إلى اللاوجود دون تدخل منه ودون اعتراض، لكن حليم بن صادق سئم هذا الوضع وصار عالمه مملاً إنه يود أن يكون فاعلاً ومؤثراً ومالكا للقدرة على تحقيق شيء بعالمه حتى وإن كان هذا الشيء هو موته فقد رأى حليم بن الصادق أن الناس من حوله متشابهون في تلقيهم لمعطيات الحياة يتقبلون منها ما تهبهم إياه لا يعترضون أو يجادلون، لكن هو يود أن يكون المستثنى يود أن يشدّ عن تلك القاعدة لهذا يختار الانتحار

كون "المنتحر استثناء بشري عن قاعدة القضاء والقدر" (قسيمي، 2009، صفحة 6)، من هنا يقرر أن ينزاح عن هذا العالم ويجوب عوالم أخرى تنتمي لخياره هو وليس لاختيارات الحياة المفروضة عليه، فجهله للموت لم يعد مستساغا بالنسبة إليه لذلك سينتحر "المنتحر يعرف مقدار عمره ولحظة انتهاء أجله" (قسيمي، 2009، صفحة 7) إنها ميزة نادرة سيختلف بها عن الآخرين فهو من سيختار موته وهو من سيعلم مقدار العمر الذي سيعيشه.

من هذا المنطلق يعرج بنا نص - يوم رائع للموت - إلى سؤال الوجود الأكبر/الموت/

هكذا تحولت الرغبة الملحة في الحياة إلى رغبة ألحّ في التخلي عنها، "فحين يصل الإنسان إلى معرفة أن وجوده كفرد هو انقضاء دائم ونضال بلا طائل وصراع داخلي ومعاناة متواصلة فإن في الحال يقرر مصيره" (شورون، دت، صفحة 207) هو أراد من الحياة قلبها أرادها أن تهيه كل اشتهاؤه، أن تمنحه أجمل عطاياها وألطف مباحجها، لكنها أحجمت عن تلبية مراده وسدت أبوابها في وجهه، وربطت قيودها حول عنقه تلك القيود التي عجز هو نفسه عن فكّها والتخلص منها، "قالانتحار ظاهرة قوامها التأكيد القوي للإرادة ذلك أن جوهر السلب يكمن في هذا فمباحج الحياة هي التي تتجنب لا أحرانها والمنتحر يريد الحياة ولا يثير سخطه إلا الظروف التي فرضت نفسها عليه ومن ثم فإنه لا يتخلى عن إرادة الحياة وإنما عن الحياة فحسب" (شورون، دت، صفحة 207).

لم يعد في الحياة ما يكفيه، لم يعد بها ما يغريه وصار الرحيل لزاما عليه كونه عاجزا عن التأقلم مع هذا المنع الكبير لذلك اختار عالمه واختار وضع حد لكل الخيبات التي أحاطت به والتخلص من اليأس الذي عايشه. فهل كان ذلك خياره أم قدره؟ ظل السؤال معلقا وظلت الإجابة عنه مؤجلة.

أراد أن يعوض نفسه عن كل شيء لم يختره أن يحدد بنفسه موعد موته وطريقته فهو الآن يعلم مسبقا متى سيموت كما يعلم أيضا كيف سيموت، بل استطاع في خضم ذلك أن يتوقع ردود الأفعال التي ستصاحب موته ويتكهن بمواقف الناس بعد سماعهم بخبر انتحاره.

لقد أصبح حليم بن صادق يغبط نفسه، ويؤكد نينيان سمارت في مقاله مفاهيم فلسفية عن الموت أن " مواجهة الموت بالمعنى الدقيق تتطلب معرفة عامة بوقت موتي وطريقته أو احتمال وقت معين وطريقة معينة ما الذي يجب قوله إذن عن المواقف تجاه موتي المحتوم ببساطة" (أرنولد توينبي وآخرين، 2011، صفحة 57) لكي تتشكل صورة الموت بشكل أوضح ويزال عنها ذلك الغموض اللامحجب فالإنسان لا يمكنه العيش أسير فكرة الموت بل يحتاج إلى التحرر منها من خلال إقباله عليها ومواجهتها وهذا أمر نادر الحدوث بل تختص به فئة المنتحرين وحدهم لأن "الناس يخفون مصيرهم عن أنفسهم بالتلهي عنه أو بالهروب إلى المجهول" (العيادي، 2005، صفحة 92) لعلمهم يتمكنون من نسيان ذلك المصير المأساوي المحتوم.

هكذا صور سمير قسيمي الانتحار كفعل له دلالاته الفلسفية التي يناقش من خلالها أزمة الذات من خلال صراعها الوجودي ورغبتها في تحقيق التمايز والاختلاف في ظل هذا الوجود.

إن الانتحار موضوع يرتبط في حقيقته بسلوك الفرد وتفاعله مع الجماعة وتبقى تأثيراته ممتدة على المحيطين بالشخص المنتحر؛ حيث يقول نيتشه في هذا الصدد "يحفظ والدا المنتحر له الضغينة لكونه لم يبق على حياته مراعاة لسمعتهم" (نيتشه، 2014، صفحة 164)، فكل منهم يرى نفسه سببا مباشرا في عملية الانتحار وكان يمكن تجنب تلك الحادثة لو رأى المنتحر عناية أو تفهم من المحيطين به، لكنه ترك وحده يصارع مخاوفه وهواجسه وخيباته المؤلمة حتى أعلن تخليه عن الحياة بصورة يختارها هو ويرضاها رغم بشاعتها وقسوتها، لكنه في لحظة ما يراها مُخلّصة له من كل العذاب الذي يسكنه، وهنا يتلقى الآخرون خبر الانتحار بشيء من التوجس والريبة وتكثر علامات الاستفهام حول الأسباب أو بالأحرى حول الأشخاص الذين كانوا سببا في دفع المنتحر إلى هذا الفعل، هكذا دون أن يتحدث أحد يشعر أقرباء المنتحر بشيء من اللوم والالتهام وتختفي البراءة من عالمهم.

إن سؤال الانتحار من أكثر الأسئلة التي تطرق باب الفلسفة.

ويمكن طرح السؤال كالتالي: لماذا انتحر حليم بن الصادق؟ هل كان انتحاره بسبب حبه للحياة أم بسبب حبه للموت؟ وهل يمكن أن نحب الموت دون أن نكره الحياة؟ فالعلاقة المتناقضة بين الموت والحياة يستحيل أن تجمعهما في شعور مشترك.

4. المعنى الهارب في تجربة حليم بن الصادق:

نلاحظ من خلال الرواية أن حليم بن الصادق قد قضى حياته تائها وفاقدًا للمعنى ليجد نفسه أسيرا لحالة شاملة من الضياع والعدم، وليعترف بعبثية وجوده وفقدانه القدرة على مواجهه مصيره وعجزة عن التصالح مع ذاته مما يجعل العدمية سمة بارزة لحياته،

هذا وقد تشكلت حياة حليم بن الصادق عبر نص يوم رائع للموت من خلال تطرق الروائي إلى تفاصيل حياتية حول علاقات شخصية مع العائلة، والأصدقاء، والمرأة الحبيبة، ثم إلى أزمة المثقف داخل الوطن وقيمه في سوق العمل الصحفي وإهمال كفاءته وتجاهل مكافحته والسعي الدائم لتثبيطه وإلغاء وجوده، ينظر حليم بن صادق لأربعين سنة مرت من عمره هباء، فهو لم يحقق المكانة الاجتماعية المرموقة التي كان يصبو إليها إذ كان مجرد صحفي بسيط لم تنتج له الظروف المناسبة لإبراز مواهبه والتعبير عن مواقفه والتغيير من واقعه، كما عجز على الصعيد الشخصي على تحقيق الاستقرار ولم يتمكن من الزواج بعد تعرضه لخيانة بشعة من طرف خطيبته التي تجاهلته ثم أنكرت معرفتها به، لينتهي به المطاف مصدوما من خبر انتحار صديقه ورفيق طفولته وجاره الأحب

عمار الطومبا الذي بلغه أنه قد رمى نفسه تحت عجلات القطار لينتهي مغروما هو وأحلامه، وما فاقم من تأزم حالته النفسية هو حالته المادية حيث وبعد سنوات من الدراسة والعمل ظل حليم بن صادق شخصا فقيرا معدما يخرج ليلا للبحث عن أعقاب السجائر ليعيد تدخينها، بقي دون منزل أو سيارة أو رصيد من المال، ظل يتقاسم الحياة رفقة عائلته في شقة صغيرة في العاصمة، ولم تكن تلك الشقة ملكا لهم بل كانت للكراء فقط ليقرر الرحيل منتحرا وإن "الغرض القائل بأن الإنسان يواجه شيئا لا يبعث على السرور عند مواجهته الموت يشجعنا على اعتبار الموت الذي يحسن استقباله أمرا شجاعا لكن مع العسير أن نرى أي أساس يعتبر الموت في حد ذاته شيئا لا يبعث على السرور" (العيادي، 2005، صفحة 59)، هكذا تسلل اليأس إلى نفس حليم بن صادق ليرى من خلاله عبثية الوجود وعجز الإنسان عن تحقيق الفاعلية في عالمه ليقرر أن يرد عن كل هذا بالانتحار أي بالاختيار، بسب رؤيته العبثية للحياة ومواقفها الصدمية معه، فالانتحار هنا ليس مجرد فعلا بيولوجيا يتمثل في التخلص من الوجود بقدر ما يدل على فعل تحرري وموقفا فلسفيا من الحياة حيث يعبر المنتحر بموقفه على غياب الشغف والمعنى وفشل الذات في تحقيق الاستقرار الحقيقي ونرى أن ألبير كامو يطرح في هذا الصدد سؤاله الجوهرى هل تستحق الحياة بأن تعاش؟ حيث يقول "إن حكمك بأن الحياة لا تستحق العيش يعني أنك بلغت ذروة العبث" (كامو، دت، صفحة 13) فالوصول إلى مرحلة النظر للحياة بصورة عبثية يؤدي إلى الاستهزاء بالوجود والتهرب من مسؤولياته ليصبح الانتحار انكارا للمعنى واحتجاجا على عبثية الوجود والغرق في الفراغ.

5. الانتحار كفعل حر بين الإرادة والفناء:

يعد الانتحار من أبرز أشكال التمرد دون أن نحدد إن كان نابعا من وعي حقيقي للذات بقيمة الوجود أو كونه صورة حقيقة عن حرية الذات في تقرير مصيرها، فقد اختلفت الرؤيا الفلسفية للفعل الانتحاري بين من يراه خيارا شخصيا يتم التعبير من خلاله عن موقف من الحياة وبين من ينظر إليه كحالة من الضعف وعدم القدرة على المواجهة، وبالنظر إليه من خلال منظور فلسفي نجد أنه يعبر عن موقفا متطرفا من الحرية لأن الفرد يملك حريته ويختار مصيره لكن فيما يخص فعل الانتحار فالوضع هنا يختلف وتصبح الحرية محدودة، فنجد أن حليم بن الصادق بلحظة انتحاره يمارس حريته الشخصية التي لا يملك أحد سيطرة عليها لي طرح السؤال هل هذا السلوك يعبر عن قوة حقيقة للذات أم عن فشلها وضياعا وسط ما يحيط بها من عبث، وفيما يلي سنعرض مجموعة من آراء بعض الفلاسفة الذين تحدثوا في الموضوع مع محاولة ربط حديثهم بمواقف حليم بن الصادق.

_ ينظر نيتشه للحياة من خلال مبدأ إرادة القوة، فالقوة عند نيتشه هي أساس الوجود حيث يؤكد "ليس الإنسان إلا كائننا وجب عليه أن يتفوق على نفسه" (نيتشه، 2018، صفحة 54)، والتفوق لا يكون بالضعف بل بالقوة، والقوي

هو من يسعى دائما لتجاوز فشله لا من يهرب منه باختيار الموت، وهنا يمكننا القول بأن حليم بن الصادق لم يكن شخصا متفوقا حسب النظرية الانتشوية بل كان ضعيفا واختار أن ينسحب من الحياة رغم أن النص الروائي يؤكد لنا أن ما أراده حليم بن صادق هو الاختيار والتفوق على القدر، هذا ومن زاوية أخرى يربط إميل دوركايم الانتحار بالمجتمع الذي يفقد الشخص إلى التخلي عن حياته فهو "فعل ناجم عن يأس يقوم به شخص لم يعد متعلقا بالحياة ولكن لأننا في الواقع نكون ما نزال متعلقين بالحياة في اللحظة التي نغادرها فيها فنحن لا نبرح نتخلي عنها" (دوركايم، 2011)، كما ربطه بحالة المنتحر "ألنسنا نفس في الواقع قرار المنتحر غالبا بمزاجه أو بطبعه أو بسوابقه أو بحوادث تاريخه الشخصي (دوركايم، 2011)، وارتباط عنصر المجتمع من استقبال الشخص له هو ما يخلق لدينا الرغبة في الانتحار ومن ثمة تنفيذ هذا الفعل فبعض ما عاشه حليم بن صادق لم يكن إلا من آثار مجتمعه عليه فمعاناته كمثقف عمقت من مأساته.

هذا ويرى ألبير كامو أن "العلاقة بين التفكير الفردي و بين الانتحار، فمثل هذا العمل يجري إعداده في صمت القلب كالعمل الفني العظيم بل إن الإنسان نفسه يجهله وفي إحدى الأمسيات يضغط على الزناد" (كامو، دت، صفحة 203)، إذا يتم التفكير في الأمر بسرية تامة دون إعلان للنية أو الرغبة في ترك الحياة والتخلي عنها وهو ما عاشه حليم بن الصادق الذي قرر أن يرد على الحياة التي لم تسمح له بالاختيار باختياره لتركها واختياره للطريقة التي يتركها بها أيضا، وكذلك قرر أن يضيف للعملية نوعا من الدهشة حينما كتب رسالة لنفسه يشرح فيها أسباب انتحاره حيث تصل تلك الرسالة إلى عنوان عائلته الجديد بعد موته، وبالتالي سيحظى بالمزيد من الشهرة وينشغل الناس بقصته ويتفاعلوا مع رسالته وستكتب عنه الصحف، ونلاحظ من هذا الفعل أن ما قام به حليم بن الصادق هو محاولته البحث عن الشهرة بعد موته و أن يستمر ذكره بين الناس كشخص يتمتع ببطولة كبيرة قادته لتحديد تاريخ موته وهزيمة القدر، إنها تلك الشهرة التي لم يستطع أن يحققها بحياته وإنه يشعر بالحنق، وعاطفي جدا في تعامله مع وقائع حياته وفي السياق نفسه يؤكد كامو "أن الذين يموتون بأيديهم يتبعون ميولاتهم العاطفية إلى نهايتها" (كامو، دت، صفحة 18) فالعقل يكون غائبا في حالة مماثلة ويختفي المنطق لتكون أفعاله مجرد استجابة لمشاعر مكتظة وملئية بالغضب "لأنه ليس من السهل دائما أن يكون المرء منطقيا حتى النهاية" (كامو، دت، صفحة 18)، لأن الحياة تتطلب صمودا دائما وتحديا ثابتا من أجل تحقيق القدرة على الاستمرار والتكيف، وهو ما عجز عنه حليم بن صادق فنجده يقرر الانتحار حتى يصنع مجده "وحتى تكون ذكراه أسطورية فقد كتب إلى نفسه رسالة يبين فيها أسباب انتحاره وبعثها إلى نفسه في البريد، وقد قدر أنها لن تصله إلا بعد أسبوع في أحسن الأحوال، أي بعد أربعة أيام من هذا اليوم وهكذا ستذكره الصحف مرتين: مرة لتعلن عن انتحاره المأساوي، ومرة

ثانية لتعلن عن وصول رسالة تظهر للعلن أسباب موته وكأنها رسالة بعثت من قاع القبر حملت على أجنحة الموت" (قسيمي، 2009، صفحة 8)، فمناجاة العظمة عند حليم بن الصادق لم تتطفئ رغم مواعده للموت فها هو يجتهد من أجل موت أسطوري، ويسعى بكل قوته إلى إعطاء قيمة خالدة لنفسه تجعل ذكره مستمرا بين الناس فهو لا يود أن يصبح عدما، أن يتخلص من وجوده ويفنى كأنه لم يكن، إنما يريد أن ينتحر لأنه يريد أن يساهم في وضع طريقة لنهايته انتقاما من عمر كامل لم يختار فيه شيئا ويريد أن يذكر بعد موته بعد عمر من التجاهل والنسيان، يود أن يحقق شيئا تكتب عنه الصحف وتداوله الأخبار، كأنه رمز ناضل طويلا في صفوف الحياة وعاد من نضاله مهزوما ليفكر في تحويل هزيمته النكراء إلى قوة يسيطر بها على حياته ويضع حدا لها "إنه انتصار ساحق على الذي قيل أنه لا يهزم لم تعد الحياة في حياته كتابية تلهو بها رجل القدر، فتسجل الأهداف كيفما شئت وقتما تريد" (قسيمي، 2009، صفحة 7)، أو ربما لا تسجل أي هدف وقد تكون أهدافها كلها لصالحها لتنتهي اللعبة بإعلان فشله والسخرية منه وإحالاته لعالم الخسارة والضياع، وهو ما كان يأباه وينفر منه إنه الآن يبرهن بأنه شجاع لا يخاف الموت ذلك المجهول الذي يتفاداه كل الناس ويهربون منه من خلال تجنبهم الدائم لأسبابه المعروفة ومحاولتهم الابتعاد عنه بكل الطرق الممكنة، نجد حليم بن صادق يفكر فيه ويستدرجه ويقترّب منه لحد تنفيذه بكل وعي وبكل قوة ودون أدنى تردد، فقد "كان في الأربعين من العمر وهو عمر إن لم يبعث فيه الرجل نبيا فلا أقل أن يكون قد كون أسرة ورأى أول ذريته" (قسيمي، 2009، صفحة 14)، فالإنجاز فعل ضروري في سن الأربعين، إنها سن النتائج فبالوصول إلى هذا السن يصعب جدا على الإنسان أن يبدأ من جديد، أو حتى أن يغير مسار حياته كليا، إن ما يحدث في الأربعين هو استمرار لحياة الماضي ونتائج لها لا غير، لكن حليم بن الصادق وجد نفسه تائها يعيش حياة خالية من الإنجاز، إنها حياة بلا معنى، وغياب المعنى لم يعد مرضيا له في سن مماثل لقد أتعّبه حالته وقادته ليأس كبير، يأس أراد أن يتغلب عنه بقطع كل أسبابه فحينما رمى بنفسه كانت "على وجهه ابتسامة غريبة لا يخطر على أحد أن ترسم على وجه رجل مقبل على الموت ولكن يمكن تصورها دون عناء على وجه رجل يعرف بالتدقيق لحظة انتهاء أيام شقائه" (قسيمي، 2009، صفحة 23)، والتخلص من رحلة العذاب الطويل التي مرت به فقد اختار أن يطلق على يوم موته باليوم الرائع، وهو عنوان الرواية "يوم رائع للموت" وليس للحياة، يصلح لمفارقتها والتخلي عنها بسعادة ودون ندم.

6. عن تأملات الذات المنهارة:

لا يدرس الانتحار هنا كحالة نهائية لذات مهزومة بقدر ما يدرس كإفلات حقيقي للمعنى وضياع للثقة وهروب حتمي من الزمن لذات تقر بعجزها عن المواصلّة وتختار الانسحاب بصورة مطلقة فلم تكن نظرة حليم بن

الصادق للانتحار مجرد نظرة عشوائية بل نظر إليه كفعل يدل على الحرية وعلى الخلاص معا "سيكون قد سجل مع الذين استطاعوا بشجاعتهم أو بتهورهم أن يتحكموا في مصائرهم ويحددوا تاريخ موتهم" 26، فهو يتحرر بهذا الفعل من سلطة الموت ومن سلطة القدر ويعتقد أن تحديده لتاريخ موته يعني أنه حرّ وحقق غايته بإرادته، إنه يرغب بالموت عن طريق انتحاره لكن ما هو موقفه من الحياة؟ لماذا ينتحر؟ إن سبب لجوء حليم بن الصادق لفعل الانتحار لم يكن كرهه للحياة بل كان فقط حبها الشديد لها ورغبته الكبيرة بها، وهنا يظهر تناقضه مع نفسه، كيف يرحل عن الحياة بإرادته من يحبها بشغف؟، فقد "اختفت جميع مخاوفه من الغد الذي لم يعد مجبرا على انتظاره ربما كانت غايته من الانتحار هذه الطمأنينة التي يشعر بها الآن وهو على بعد سبع ثوانٍ من النهاية" (قسيمي، 2009، صفحة 23)، نعم هو يحب الحياة ولكنه في الوقت ذاته يخافها ويتألم منها، فقد كان يودّ لو أنها أحسنت معاملته قليلا كي يحب بقاءه فيها، لكن ما حدث خالف أمنيته ومنه ربط نفسه بالانتحار كي ينهي مأساته وهو ما يؤكد أنه أرتّر شوبنهاور "الذي يحب الحياة وثقل أعباؤها كاهله وتثقله ما ينزل به من مقاديرها المحزنة ينشد التحرر بالانتحار" (شوبنهاور، 2006، صفحة 2012)، تأكيداً على حبه للحياة وليس على حبه للموت فكر حليم بن الصادق أن يقتل نفسه كما قاتلته الحياة بكل ما فيها مدة أربعين سنة "فالمنتحر أكثر عبودية للحياة من غيره فهو تعس من حياته لا من الحياة عموماً" (رسامويل بول فريد دي فالو، دت)، فقد تشكلت مأساته من إرادة الحياة عنده هو لذلك "فحين يكون الذهن قد اختار الموت فمن السهل استنتاج النتائج التي يشتمل عليها الفعل من الفعل نفسه" (رسامويل بول فريد دي فالو، دت)، دون انتظار تفسير من المنتحر فرغبته بالحياة لم تعد منفصلة عن رغبته بالموت فهناك توحيد بين الرغبتين وتعليل تام لهذا الموقف، فالانتحار هنا لم يكن ليتم بصورة نمطية كما نسمع عنه غالبا أحداث كثيرة أو حدث واحد كبير يكفي بانفعال شخص ما ليقرر في لحظات إنهاء حياته ووضع حد لكل رغبته، تصير الرغبة في الموت أكثر من الرغبة في التغلب على مآسي الحياة، لكن حليم بن الصادق لم يعيش أحداثا عنيفة بصورة مباشرة إذا قمنا باستثناء خيانتة من طرف خطيبته قبل موعد العرس بفترة قصيرة، وسماعه بخبر انتحار صديقه المقرب عمار الطومبا، فقد تأكلت آماله لأنه وجد نفسه على الحافة في كل شيء، لم يكن له من جانب يتكئ عليه، كانت كل مسارات حياته مائلة وكل أوضاعه تقتدر إلى الثبات، لم يكن هناك من حدث صاخب بقدر ما كانت كل الأحداث صامتة تتخر قلبه ببطء تربى الألم وتراكم اليأس داخله، أجل إنهاء تراكمات طويلة رافقته أربعين سنة استنزفت كل جهوده في المقاومة وقتلت كل رغبته في البقاء، فجأة ودون مقدمات كثيرة وجد حليم بن الصادق نفسه صديقا للكآبة والعزلة وصار أكثر قربا من اللامعنى وعدم جدوى الحياة ففكرة مثل فكرة الانتحار لم يقرها بين يوم وليلة لقد اختمرت هذه الفكرة في نفسه مدة أربعين سنة، ثم صارح نفسه بها وعاش معها

مدة ستة أشهر بدون رويّة، ظلّ يقرر القرار ذاته وظلت نفس الفكرة تراوده، لم يعد هناك ما يخسره ولا ما يأمله فقد غابت الأشياء التي تمنّاها تباعا والأشياء التي تمنى لو أنها تتحسن وتصير أفضل، ظلّت على حالها اليوم لم يعد حليم بن الصادق إلا خيال لنفس تائهة، لكن الشوق للإنجاز ظلّ يطوف به ويدعوه لتحقيق ما لم يحققه من قبل، ولأنّ سيطر ظل صوتا خافتا يسحبه من كل الضوضاء المحيطة به ويناجيه كل يحقق وجوده باختيار موته "هناك أشياء خارج نطاق سيطرتك فما حدث في الأزمنة التي سبقت مولدك وطبيعة الكون الذي تعيش فيه من الأشياء التي يستحيل أن تكون تحت سيطرتك وكذلك يقع خارج نطاق سيطرتك الكثير من سماتك الخاصة ومنها أنك إنسان وسوف تموت وماهية الخبرة التي تفودك الآن إلى ما تعتقده بشأن بينئك المحيطة" (بينيك، 2015، صفحة 9)، لكن يمكنك أن ترد على كل هذا بأن تختار مالا يختاره الآخرون تختار موتك وتعرف أكثر مما يعرفه الآخرون تعرف موعد موتك وكذلك طريقته، "البقاء على قيد حياة لم تعد كافية مثلما كانت حينئذ لتجعله يعدل عن فكرة السقوط، فستة أشهر مدة كافية ليفكر في الأمر وقد استقر أخيرا على قراره" (قسيمي، 2009)، لأن الحياة التي بدأتها بعائلة لم يختارها وظروف لم ترق له لكنها فرضت عليها قد فقدت بريقها عنده ولم تعد تسد حاجته ولا تكفي نفسه الشغوفة بالعيش فمنذ قراره بالانتحار لم تهب الحياة شيء يعدل به عن فكرته ولا أغرته بظرف يشفي غليله من عدم الاختيار بل ظلت تقاوم رغبته في الرحيل بإرادته وتعمق من معاناته هكذا ليصبح الانتحار سلوكا فلسفيا بعد تأمل طويل وليس قرار انفعاليا يحد من قدرة حليم بن الصادق على التفاعل مع الحياة بل هو الآن يشاركها عملها ويفعل ما تفعله إنه يختار هو أيضا يختار الموت بكل ما يحمله من غموض وبالنظر إلى شخصية حليم بن الصادق نجده ينتمي إلى مجتمع ديني يؤمن بوجود حياة ما بعد الموت ويدرك أن انتحاره هو مجرد فراق لحياة عجز عن التأقلم مع تقلباتها هو على علم بالحساب والعقاب الذي سيتعرض له كل من يقتل نفسه لكن علمه هذا لم يثنيه عن قراره "فأكثر ما كان يشغله قبل أن يقدم على الانتحار عقوبة ما بعد الموت" (قسيمي، 2009) فالحياة هبة من الله ولا يحق للإنسان أن يغتال هذه الهبة ولا أن يتخلّى عنها في الوقت نفسه كان يعلم أن الله رحيم وهو سيلجأ إلى رحمته وليس إلى عذابه كانت هذه هي قناعاته حيث "لم يكن متيقنا من أن الله العادل يعاقب من فر إلى عدله من ظلم دنياه" (قسيمي، 2009) فما عاشه وما مر به شكل دائما نقطة ألم كبير بداخله وقدرته على الصبر اضمحلت حتى اختفت وطاقته في التحدي اندثرت، أصبحت تكاليف الحياة تثقل كاهله وتؤرق صفوه يود لو أنه يتخلص منها بقفزة واحدة من سطح إحدى العمارات بحي الكاليتوس "لم يكن يؤمن أن الجنة الواسعة تضيق ذرعا بمن آمن بها وفر إليها" (قسيمي، 2009) فهو الآن لا يؤدي أحدا ولا يشكل خطرا على أحد هو فقط ينقل بإرادته من الشقاء إلى الراحة هذا ما كان يصدق به وهذا ما شكل إيمانه وعزز يقينه بأن الجنة موجودة وهي ستكون ملاذه الأخير فقط

لأنه آمن بها وصدق بوجودها حتى وإن كان انتقاله إليها رغما عن القدر بل حسب قراره هو وبالطريقة التي اختارها، من خلال رمي نفسه من الطابق الخامس عشر وفي اختياره الموت بهذه الطريقة تأكيدات فلسفية أخرى تدل على وعيه بعبثيه العالم الذي ينتمي إليه وتقريره مغادرة هذا العالم عن طريق القفز من الأعلى إلى الأسفل فهو يحرر نفسه وجسده من ثقل الوجود ويرمي كل شيء يخص وجوده في فراغ سحيق ينتهي بنهايته، ويمكننا هنا أن نربط بين فكرة الانتحار من خلال القفز من شاهق وبين فكرة هايدجر الذي يصور السقوط كحالة من "التشتت الوجودي، حيث يتقاطع السقوط الوجودي مع السقوط الفيزيائي ليعلن الخروج من الديزايين" (هايدجر، 2012) 36، فالانتحار من بناية عالية يخرج من إطاره المادي كفعل أني ينهي الحياة بسرعة وإنما نستطيع تأويله إلى فعل فلسفي يعبر عن صراع الفرد مع ذاته وواقعه فسقوط الجسد من أعلى البناية يعكس سقوط النفس من الداخل وتهاوي الفكر وانهايار المبادئ والفشل الكبير للذات في تصالحها مع المحيط الذي تنتمي إليه، ونشير أيضا إلى أن حليم بن الصادق قد اختار القفز من شاهق في وضوح النهار بعد صلاة الجمعة وهو وقت يعج بالناس ويكتظ فيه المارة ولم يختر ذلك في ظلام الليل الدامس فقد كان بحاجة لأن يرى ويعلم الناس أنه انتحر، كي يعبر بذلك عن احتجاجه على حياة لم ترضه يوما فقد فشل العالم في الاستماع إليه لذلك قرر التحرر من هذا العالم برمي نفسه ليحقق مفارقة أنه وصل إلى أعلى نقطة ليحقق منها الوصول إلى النهاية عابرا بينهما حياته كلها التي توقفت ساردا لكل محطاتها خلال رحلته من الأعلى إلى الأسفل والتي استمرت سبع ثواني فقط، هذا ونجد أن البناية العالية في النص السردي ليست مجرد مكان مادي بل يمكن أن تمثل السلطة الكبرى التي تحكم هذا العالم والسقوط منها يشير إلى التخلي عنها وعدم القناعة بها، كما يمكنها أن تمثل سلطة المجتمع الذي لم يحقق به حليم بن الصادق وجوده كما أراد وبالتالي يقرر التخلي عنه نحو النهاية من خلال فعل السقوط النهائي، ويمكنها أن تشير كذلك إلى تطور الحياة في المدينة وتقزيم دور الإنسان الذي يعيش بنفسية مأزومة ووروح متهاكة.

فالانتحار من خلال القفز من شاهق يعد من أقل حالات الانتحار شيوعا لماذا؟ لأنه يتم علنا على مرأى الناس في وضوح النهار وقد أشرنا سابقا إلى أن الانتحار فعل سري جدا تتدر مشاركته مع الآخرين، لذلك يعد هذا النوع من الانتحار أسلوب احتجاج ليس على الأفراد فحسب بل على الجماعات أيضا فهو مسلك مباشر للطعن في المجتمع وفشل سلطته في كسب الأفراد، ونجد عددا من الشعراء قد قرروا إنهاء حياتهم بهذا الأسلوب مثل "الشاعرة الأمريكية إيليز كوين انتحرت برمي نفسها من الطابق السابع من منزل والديها" (حداد، 2007، صفحة 567) مخلفة مجموعة من النصوص الشعرية التي عبرت من خلالها عن حالة عارمة من السأم تحتويها، كما نعثر أيضا على الشاعرة نيلغون مارامارا صاحبة نص "كم مرة ينبغي لي أن أموت؟" والتي انتحرت برمي نفسها من الطابق السادس

من شرفة بيتها ويشير شهود هيان أنها لم تطلق صرخة واحدة أثناء سقوطها" (حداد، 2007، صفحة 463) في إشارة تامة إلى يقين تام بقرارها وسعادة خفية بقدرتها على تنفيذه.

7. الموت كوجهة وجودية:

تبدأ رواية يوم رائع للموت بوصفها رحلة نحو الرحيل الذي يعد خيارا واعيا ونهاية أكيدة لمسيرة وجودية ختمت بالفشل وأصبح استمرارها بلا جدوى "لحظة انفصلت قدماء عن الحافة انتابه الشك في قراره الأخير لم يعد متأكدا منه كما كان منذ أقل من ثانية، فعلى الأقل لم يكن يعلم أن مشهد الفراغ الممتد من مكانه إلى غاية الرصيف سيؤثر على قلبه مثلما يفعل الآن فيجعله ينبض نبضات متسارعة تمنع عنه الهواء هل أنا خائف (قسيمي، 2009، صفحة 41) مع قفزته الأولى اختلط عنده الشك باليقين فهل كان قرار الانتحار صائبا؟ أم أنه لم يتخيله بهذا الشكل فهو يعلم أن نهاية الانتحار تساوي الموت لكنها تجربته الأولى فكل هذه المشاعر لم يعشها سابقا إنه ينزل بسرعة نحو الأرض ودقات قلبه تتسارع والفراغ المتسع يزيد من حدة التوتر عنده لي طرح سؤاله هل أنا خائف؟ فما هو خائف يا ترى؟ هل خاف من السقوط وأثره على جسمه الذي قد تتفصل عظامه عن بعضها؟ أم خاف مما هو قادم بعد الموت؟ لم يعطنا حليم بن الصادق أي إجابة عن سؤال الخوف لكننا نعلم أنه اختار فناء الجسد بدلا من ترك الروح غارقة في الألم، ثم بدأت رحلته نحو موته ليتذكر خلال ثواني معدودة رحلته في الحياة دون أن يتراجع عن قراره أو يندم عليه لقد كان مستبشرا به وسعيدا بأعماقه لأنه متجه نحو الخلاص.

تشير لحظة الشك في القرار إلى الأخير إلى تردد متأخر وهي مفارقة بين الشك واليقين يشير بواسطتها إلى تزعزع تام للمرجعيات وتذبذب لليقينيات في لحظة أصبح فيها الجسد هو آخر وسيلة للاحتجاج عن سقوط الحق في التعبير وغياب القدرة على المعارضة واسترجاع الحقوق.

8. في العودة من العدم

لم يكن ما حدث مع حليم بن الصادق أثناء رميه لنفسه من سطح العمارة إلا قدرا من أقداره التي لم يتدخل في اختيارها، فلا أحد توقع أن سقوطه سيكون فوق فراش منزل عائلته والذي وضعه والده فوق الأثاث الذي يتم نقله بالشاحنة لعمارة أخرى، فهو لم يسقط على الأرض كما كان يخطط بل سقط في مكان أكثر أمانا مكان احتواه وأبعد يد الموت عنه إنه فراش منزله لا غير مكان مألوف أراد أن يهرب منه فوقع فيه لقد خرج فراشه كي يستلمه من تلك الأعالي وبقيه ضربة الموت نعم إنه قدره في النهاية هو الذي فرض نفسه عليه رغم كل محاولاته وخطته لم يستطع أن يحقق موته كما اختاره لم يكن ذلك اليوم هو موعد موته في تقويم القدر لقد كان يوما للحياة وليس للموت بعض النظر عن روعته من عدمها في لحظة السقوط فوق فراش المنزل رأى حليم بن الصادق دهشة الوجوه حوله إذا كان

قبل ثواني مجرد جسد غريب يتهاوى من السماء ليتحدد بسقوطه من هو إنه الصحفي إنه الجار إنه الابن وإنه الخطيب السابق.

نقل حليم بن الصادق إلى المستشفى وتداولت الألسن قصته ليعيش مرحلة ما بعد محاولة الانتحار فهو قد أنجاه القدر من موت محقق ومخطط له لكن ردود أفعال المحيطين به جعلته يتشبث بالحياة مرة أخرى وهنا نلاحظ أنه وبالرغم من كل التفكير الطويل في عملية الانتحار إلا أن حليم بن الصادق لم يكررها بعدما فشل فيها وهنا يعثر القارئ على إجابة لسؤال ظل طوال النص الروائي معلقا وهو هل كان الانتحار حبا في الموت أم حبا في الحياة؟ لنجد أنه كان حبا في الحياة لا الموت فبمجرد وجود الاهتمام عاد مقبلا على الحياة "هكذا تغيرت حياة حليم بن الصادق وبدا أنها تسير للأحسن فبعد عروض العمل التي حصل عليها لن يخش البطالة من جديد ولن يجرأ أحد من مديره المستقبلين أن يأكل حقه مثلما فعل مديره السابق فهو الآن رجلا مشهور تعرفه الوزارة والمير وجميع الناس" (قسيمي، 2009، صفحة 118) هو الآن ملك للحياة والحياة ستعتذر منه وتعوضه عن كل خسارته السابقة سواء في ميدان العمل أو العائلة أو الحب فقد" اضطرت السلطات للتظاهر بأنها مهتمة بالموضوع ووعدت أنها ستدرس في القريب العاجل مسألة انتحار الصحفيين وخاف مدير حليم السابق من الفضيحة فأرسل إليه باقة ورد وشيكا بمستحقاقه القديمة ووعده بمنصب محترم حين يتعافى بعد شهرين وعادت نبيلة ميجانيك إلى حياته من جديد بعد أن أقتنعه أن القضاء رتب لقاءهما على ذلك الشكل الغريب" (قسيمي، 2009، صفحة 117) ليجد نفسه أخيرا محاطا بكل ما تمناه وسعى إليه فقد كانت طموحاته في الحياة محدودة لم يطلب الكثير سوى مهنة يحبها وينجح بها وزوجته يحبها وتقدر حبه لكن الحياة كان لها رأي آخر فقدرة كان مختلفا عن أحلامه لقد سلبه العمل والحب وأعطاه "ظلام في ظلام أربعون عاما من حياة الشحاذة عشرون عاما يعمل في لا شيء عشرة أعوام يعيل عائلة تفرق أفرادها حتى لم يبق منهم إلا والده وأخوه البطل وأخته العانس خمسة أعوام قضاها في دفع ديون أبيه وشقيقه المتكاسل التي لا تكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد" (قسيمي، 2009، صفحة 117) ليكون قراره بالانتحار الحل الوحيد الذي رفضه القدر أيضا ثم عاد ومنحه كل ما كان يشتهي، فبعد النجاة من الموت أصبح حليم بن الصادق أكثر وعيا بوجوده فقد تأكد أن حياته ليست مجرد استمرار عادي وإنما هي رجوع إجباري للعيش لا يملك إلا أن يتقبله ويتفاعل معه دون اعتراض فقد فقد معنى الموت الذي كان يرى فيها خلاصه النهائي تماما كما فقد معنى الحياة سابقا وحينما أقبل عليه حليم ورضي بعد عاد القدر في صورة أخرى لم يخترها حليم ألاو هي صورة الموت عن طريق حبة مكسرات تقطع عنه الهواء فالموت سهل يمكنه أن يحدث داخل غرفة أمنة وصعب جدا لدرجة أن لا يحدث بعد قفزة من الطابق الخامس عشر وهذه هي مفارقة الرواية التي انتهت بانتصارها للقدر وتأكيدها بأن الخيار

نفسه قدرا لا غير، فقد وصلته الرسالة التي كتبها لنفسه قبل انتحاره "فتح حليم الرسالة وهم في قراءتها بنهم وكأنه لا يعرف فحواها كل ذلك وهو لا يكف عن أكل المكسرات استمر في قراءتها حتى عثر على شيء أضحكه ثم على آخر فتملكه الضحك وهو يقرأ متلهفا" (قسيمي، 2009، صفحة 118) إنه الآن يضحك على أشياء كانت قد قادتة منذ أيام مضت إلى البحث عن حقه إنها مآسي الماضي غدت اليوم مدعاة للضحك فلا أحد يأمن على نفسه من الحياة ولا أحد يعرف كيف تتغير القنوات وتبدل الرؤى، إنه السبب نفسه الذي أبكاه قد غدا الآن يضحكه هكذا هي الحياة لا تمنح لأحد حق السخرية منها ولكن هي تسخر من الجميع فقد تخلت عنه وأبكتة طويلا وها هي اليوم تضحكه بأسباب البكاء ذاتها "حتى توقف فجأة عن الضحك والقراءة جمدت حدقاته عن الحركة وارتفعتا إلى أعلى وقد جحظت عيناه وهو يرعرع فأفلتت يده الرسالة التي تهاوت لتستقر على حجره حاول الجلوس لكنه خر في مكانه ووجهه يحمر كأن النار اشتعلت فيه حاول أن يضرب على صدره بيده غير المجبسة وقد أدرك أن شيئا يمنعه من التنفس" (قسيمي، 2009، صفحة 118) لأنه الآن يدرك بفطرته أن ما يحدث معه أمرا خطيرا وبالقطرة نفسها يود أن يبعد الخطر عن نفسه حتى وإن كان جاهلا لمصدر ذلك الخطر فهو يرفضه إنها غريزة البقاء تفرض نفسها فقد رأينا حليم بن الصادق في سابق الصفحات يرمي بنفسه من علو شاهق وهو بكامل وعيه راميا بالحياة خلف ظهره أما الآن فإننا نرى صورة معاكسة له إنها يحاول جاهدا أن يفك نفسه من خطر الاختناق بواسطة حبة مكسرات صغيرة كي يرمي بنفسه بين أحضان الحياة مجددا

"حاول ولكن دون جدوى وهو ينظر صوب الباب والباب موصدة مثلما تركها أبوه فحول ناظره عنها إلى السقف حيث رأى مصباحا مطفأ فراع أنه يكون هذا آخر ما سيذكره عن الحياة فأشاح بناظره عنه وأمال جسده المرتعش حتى واجه النافذة ثم استسلم للاختناق لم ير شريط حياته يعرض عليه كما كان يتصور كان الصمت وحشجة الصوت ما يملأن لحظته الأخيرة وأخيرا خر ميتا" (قسيمي، 2009، صفحة 118) وحيدا برغبة ملحة في البقاء غادر حليم بن الصادق الحياة في موعد لم يحدده هو وبطريقة لم يكن سببا في اختيارها دون جمهور يحيط بجثته ويراقبه في لحظات وجوده الأخيرة دون بهجة وسرور يملأن نفسه ودون أن يسمع به أحد فقد عاند الحياة التي نظرت إليه بمهل ثم ردت عليه بقوة لتعطيه درسا مهما قبل أن يغادرها هو أن الاختيار في حياة المرء ليس إلا قدره.

هكذا تنتهي قصة حليم بن صادق والتي مثلت نوعا من التحدي للوجود الإنساني فما يعيشه الإنسان من غياب للمعنى والعدمية الصارخة بسبب الموت المفاجئ والغير متوقع فحينما أقبلت الذات المهزومة على الحياة انسحبت منها مباشرة لتصبح حالة ناقصة من الوجود فهذا النوع من الموت قد وضع حدا للحرية الفردية وفصل

حليم بن الصادق عن معنى الوجود ليؤكد أن الموت سلطان لا يقدر عليه أحد، ففي النهاية حاول أن يتمسك بالحياة لكنها كانت أسرع منه وأفلتت يده إذ "كلما ازداد الإنسان في تحرره الباطني أي في استعدادة لأن يهب ذاته أمكنه أن ينظر للموت بوصفه تحريرا وخلصا وبهذا المعنى يقبل الإنسان موته وتتجلى له القيمة الكبرى للحظات الأخيرة" (مبروك، دت، الصفحات 108-109) لكن ما حدث في رواية يوم رائع للموت كان مفارقة كبيرة مثلت

هنا يمكننا القول إن نص "يوم رائع للموت" لم يقدم لنا نيمة الانتحار كفعل مجرد بقدر ما فصل الحديث عن الفكر الانتحاري وأبعاده، وعن تلك المسافة الفاصلة بين عملية الانتحار والوصول إلى الموت، ليعكس تصورا يقينيا أن الانتحار لا يشكل في النهاية سوى قدرا من أقدار عديدة يعيشها المرء بمختلف حالاته.

8. خاتمة:

تنتهي رواية يوم رائع للموت بعد أن تجيب القارئ عن كل الأسئلة التي ظل يطرحها هو يقرأ هذا النص لنقول في الأخير أن:

- الرواية الجزائرية الجديدة استطاعت أن تحرر من الواقعية التقريرية من خلال بحثها الدائم في أعماق النفس البشرية وتفاعلها المستمر مع الأفكار الوجودية
- في رواية يوم رائع للموت يتحول الانتحار من فعل بيولوجي لإنهاء الحياة إلى تجربة وجودية تقرر الذات من خلالها تحقيق سلطتها المعنوية باختبار الموت وطريقته وموعده.
- الرؤية الفلسفية للموت عن طريق الانتحار تتقلب بين العنثية الوجودية التي ترى الحياة فاقدة للمعنى، وبين التمرد الذي يمارس بحرية ضد مجموعة من المفاهيم والقيم.
- تتوقف حرية الإنسان باختيار موته عند القدر الذي يسيطر على مصيره

النجاة من الموت تتحول إلى فراغ ذاتي يقوض الرؤيا الوجودية ويعكس فهما متخلخلا في فهم الحياة يشكل الفشل في الانتحار فشلا وجوديا من خلال عودة الحياة لشخص طلب الموت، وقرر التخلص من معاناته.

- يعد الانتحار بالقفز من شاهق فعلا فلسفيا يجسد النزاع بين الذات والوجود بين الرغبة في الموت وبين الرغبة في تحقيق الأثر بذلك الموت على مرآ عيون الآخرين.

9. قائمة المراجع:

1. أرثر شوينهاور. (2006). العالم إرادة وتمثلاً ج2. (سعيد توفيق، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
2. أرنولد توينبي وآخرين. (2011). الإنسان وهموم الموت (المجلد 1). (عزت شعلان، المترجمون) مصر: المركز القومي لترجمة.
3. ألبير كامو. (دت). أسطورة سيزيف. (أنيس زكي حسن، المترجمون) بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.
4. أمل مبروك. (دت). فلسفة الموت. مصر: دار التنوير.
5. إميل دوركايم. (2011). الانتحار. (حسن عودة، المترجمون) دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.
6. توماس بينيك. (2015). الإرادة الحرة مقدمة قصيرة جداً. (هنداوي ياسر حسن، المترجمون)
7. جاك شورون. (دت). الموت في الفكر الغربي. (كامل يوسف، المترجمون) عالم المعرفة.
8. جمانة حداد. (2007). سيجئ الموت وستكون له عيناك (المجلد 1). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، دار النهار.
9. رسامويل بول فريد دي فالو. (دت). الانتحار عند أرثر شوينهاور. (جميلة السواح، المترجمون)
10. سايمون كريتشلي. (2021). الفلاسفة الموتى. (إبراهيم الكلثم، المترجمون) منصة معنى.
11. سمير قسيمي. (2009). يوم رائع للموت. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.
12. عبد العزيز العيادي. (2005). اتيقا الموت والسعادة (المجلد 1). تونس: صامد للنشر والتوزيع.
13. مارتين هايدجر. (2012). الكينونة والزمان. (فتحي المسكيني، المترجمون) بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
14. محمد شفيق شيا. (دت). الأدب الفلسفي.
15. نيتشه. (2014). إنساني مفرط في إنسانيته. (علي مصباح، المترجمون) بغداد: منشورات الجمل.
16. نيتشه. (2018). هكذا تكلم زرادشت. (محمد رجب، المترجمون) القاهرة: دار العلم والمعرفة.